ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد وقوله (إنهم منتظرون) أى أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله فى نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفى أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال : قال لى أبى بن كعب كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها ؟ قال قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائى من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبى النجود وهو أبو بهدلة به ، وهذا إسناد حسن وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله . قوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تسمع منهم ولا تستشرهم (إن الله كان عليما حكيما) أى فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الأمور حكيم فى أقواله وأفعاله ولهذا قال تعالى (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أى من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أى فلا تخفى عليه خافية وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وأحوالك (وكفى بالله وكيلا) أى وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ * ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوى أمرا معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له فقال (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) كقوله عز وجل (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) الآية . وقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) هذا هو المقصود بالنفى فانها نزلت فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، كان النبى صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم وأبناءكم) كما قال تعالى فى أثناء السورة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين

وكان الله بكل شيء عليما) وقال ههنا (ذلكم قولكم بأفواهكم) يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أي العدل، وقال قتادة (وهو يهدي السبيل) أي الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال إن أباه حدثه قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عنى بذلك؟ قال قام رسول الله ﷺ يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل : يقول ليس ابن رجل آخر ابنك وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد أنها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله عز وجل (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأدعياء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر . قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به . وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ، ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضي الله عنهما يا رسول الله كنا ندعو سالما ابنا وإن الله قد أنزل ما أنزل وإنه كان يدخل على وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال صلى الله عليه وسلم « أرضعيه تحرمي عليه » الحديث ، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وقال عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) وقال تبارك وتعالى في آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) احترازا عن زوجة الدعي فانه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاعة فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى عليه وسلم في الصحيحين « حرموا من الرضاعة من يحرم من النسب » فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلطح أفخاذنا ويقول « أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس » قال أبو عبيدة وغيره أبني تصغير أبني وهذا ظاهر الدلالة فان هذا كان في حجة الوداع سنة عشر . وقوله (ادعوهم لآبائهم) في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضا ففي صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن الجعد أبي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « يا بني » ورواه أبو داود والترمذي ، وقوله عز وجل (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم أي عوضا عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضي الله عنها تنادي يا عم يا عم فأخذها علي رضي الله عنه

وقال لفاطمة رضى الله عنها دونك ابنة عمك ، فاحتملتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم فى أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة . فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال زيد ابنة أخى ، وقال جعفر بن أبى طالب ابنة عمى وخالتها تحتى يعنى أسماء بنت عميس ، فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلى رضى الله عنه « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر رضى الله عنه « أشبهت خلقى وخلقى » وقال لزيد رضى الله عنه « أنت أخونا ومولانا » فى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه ﷺ حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين وقال لزيد رضى الله عنه « أنت أخونا ومولانا » كما قال تعالى (فإخوانكم فى الدين ومواليكم) وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكر رضى الله عنه قال الله عز وجل (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) فأنا ممن لا يعرف أبوه فأنا من إخوانكم فى الدين ، قال أبى والله إنى لأظنه أنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى اليه وقد جاء فى الحديث « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد فى التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) ثم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أى إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطأ ورفع إثمه كما أرشد اليه فى قوله تبارك وتعالى آمرا عباده أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل قد فعلت » . وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفى الحديث الآخر « إن الله تعالى رفع عن أمتى الخطأ والنسيان والأمر الذى يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) أى وإنما الإثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) الآية . وفى الحديث المتقدم « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وفى القرآن المنسوخ فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم أنه قال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ثم قال قد كنا نقرأ (ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم عليه الصلاة السلام فانما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما أطرت النصارى ابن مريم » ورواه فى الحديث الآخر « ثلاث فى الناس كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت . والاستسقاء بالنجوم » .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفى الصحيح « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وفى الصحيح أيضا أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله والله لأنت أحب الى من كل شىء إلا من نفسى ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك . فقال يارسول الله

والله لأنت أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة : اقرءوا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه » تفرد به البخاري ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات وترك دينا فإلي ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه أبو داود عن أحمد ابن حنبل به نحوه وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالاجماع ، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر ، وهو من باب إطلاق العبارة لإثبات الحكم ، وهل يقال لمعاوية وأمثاله خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم ، ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك ، وهل يقال لهن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبا ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقد روى عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرآ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) . وروى نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . حكاه البغوي وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان ، والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) . وقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف . وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي من ساكني بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الاخوان فواخيناهم ووارثناهم فآخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وآخى عمر رضي الله عنه فلانا ، وآخى عثمان رضي الله عنه رجلا من بني زريق ابن سعد الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فما يرى فوالله يا بني لومات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا . وقوله تعالى (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي هذا الحكم وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا

يغير . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قدشرع خلافه فى وقت لماله فى ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار فى قدره الأزلى وقضائه القدرى الشرعى والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَقًا غَلِيظًا * لِّيَسْـَٔلَ الصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن أولى العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق فى إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم أيضاً فى هذه الآية وفى قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هى الوصية التى أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فبدأ فى هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقى حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثنى قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم، فى قول الله تعالى (وإذا خذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث فبدأ بى قبلهم » سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به مرسلا وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا والله أعلم . وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن على حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم. موقوف وحمزة فيه ضعف ، وقد قيل إن المراد بهذا الميثاق الذى أخذ منهم حين أخرجوا فى صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال : ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعنى ذريته وأن فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال : رب لو سويت بين عبادك فقال : إنى أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذى يقول الله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وهذا قول مجاهد أيضا ، وقال ابن عباس: للميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل ، وقوله تعالى (وأعد للكافرين) أى من أممهم (عذابا أليما) أى موجعا فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلى الذى لا لبس فيه ولاشك ولا امتراء وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة (لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين فى صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك فى شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور ، وقال موسى بن عقبة وغيره كان فى سنة أربع وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشراف يهود بنى النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر منهم سلام بن أبى الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حرب النبى صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش فى أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عيينه بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلى الشرق ، وذلك باشارة سلمان الفارسى رضى الله عنه ، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر ، وكان فى حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرقى المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم فى أعالى أرض المدينه كما قال الله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثه آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجالة أن تصل إليهم وجعل النساء والذرارى فى آطام المدينة ، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقى المدينة ولهم عهد من النبى ﷺ وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيى بن أخطب النضرى فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومالأوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الأمر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ومكثوا محاصرين للنبى ﷺ وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمرو بن عبد ودّ العامرى وكان من الفرسان الشجعان المشهورين فى الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه فيقال إنه لم يبرز إليه أحد ، فأمر عليا رضى الله عنه فخرج إليه فتجاولا ساعة ثم قتله على رضى الله عنه فكان علامة على النصر . ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شىء ، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا) قال مجاهد وهى الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وقال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسرى بالليل قال : فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثنى عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أرسلنى خالى عثمان ابن مظعون رضى الله عنه ليلة الخندق فى برد شديد وريح إلى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لى وقال « من أتيت من أصحابى فمرهم يرجعوا » قال فذهبت والريح تسفى كل شىء فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبى ﷺ قال فما يلوى أحد منهم عنقه ، قال وكان معى ترس لى فكانت الريح تضربه على وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى فأبعدها إلى الأرض .

وقوله (وجنودا لم تروها) هم الملائكة زلزلتهم وألقت فى قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بنى فلان إلى فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، النجاء لما ألقى الله عز وجل فى قلوبهم من الرعب ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضى الله عنه يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخى قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال الفتى والله لو أدركناه

ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : قال حذيفة رضى الله عنه يا ابن أخى والله لورأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يا من الليل ثم التفت فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ ـ يشترط له النبى ﷺ أن يرجع ـ أدخله الله الجنة » قال فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، ـ يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال ﷺ « يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا » قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قراراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جليسه . قال حذيفة رضى الله عنه فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبى فقلت من أنت ، فقال أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئاً حتى تأتينى لو شئت لقتلته بسهم ، قال حذيفة رضى الله عنه فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه مرحل فلما رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم وقد رواه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت : فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ « ألا رجل يأتى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة » فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم » فلم أجد بدا إذ دعانى باسمى أن أقوم فقال « ائتنى بخبر القوم ولا تذعرهم على » قال فمضيت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم على ولو رميته لأصبته قال فرجعت كأنما أمشى فى حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابنى البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قم يا نومان » ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال إن رجلا قال لحذيفة رضى الله عنه نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله ﷺ إنكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضى الله عنه ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه والله لا تدرى يا ابن أخى لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق فى ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا . وروى بلال ابن يحيى العبسى عن حذيفة رضى الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقى فى الدلائل من حديث عكرمة ابن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز ابن أخى حذيفة قال ذكر حذيفة رضى الله عنه مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هى بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيتسللون أو نحن ثلثمائة أو نحو ذلك

إذا استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى آتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى قال فأتانى ﷺ وأنا جاث على ركبتى فقال « من هذا ؟ » فقلت حذيفة قال « حذيفة » فتقاصرت الأرض فقلت: بلى يارسول الله كراهية أن أقوم فقمت فقال « إنه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم » قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله ماخلق الله تعالى فزعا ولاقرا فى جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا قال فلما وليت قال ﷺ « يا حذيفة لاتحدثن فى القوم شيئا حتى تأتينى » قال فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت فى ضوء نار لهم توقد فاذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار فذكرت قول رسول ﷺ « لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتينى » قال فأمسكت ورددت سهمى إلى كنانتى ثم إنى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون ياآل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فو الله إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبى صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت فى الطريق أو نحوا من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل فى شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف فأومأ إلى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل على شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنى تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) وأخرج أبو داود فى سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى ؛ من حديث عكرمة بن عمار به. وقوله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم) أى الأحزب (ومن أسفل منكم) تقدم عن حذيفة رضى الله عنه أنهم بنو قريظة (وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) أى من شدة الخوف والفزع (وتظنون بالله الظنونا) قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدائرة على المؤمنين وأن الله سيفعل ذلك ، وقال محمد بن إسحاق فى قوله تعالى (وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا) ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط ، وقال الحسن فى قوله عز وجل (وتظنون بالله الظنونا) ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون . وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأنصارى حدثنا أبو عامر ح وحدثنا أبى حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا الزبير يعنى ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شىء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال ﷺ ، نعم ، قولوا اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبى عامر العقدى

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون فى غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين فى قلوبهم مرض بما فى أنفسهم (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) أما المنافق فنجم نفاقه ، والذى فى قلبه شبهة أو حسكة ضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس فى نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب) يعنى المدينة كما جاء فى الصحيح « أريت فى المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلى أنها هجر فإذا هى يثرب » وفى لفظ المدينة ، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن مهدى حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى إنما هى طابة هى طابة » تفرد به الإمام أحمد وفى إسناده ضعف والله أعلم ، ويقال إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . قاله السهيلى ، قال وروى عن بعضهم أنه قال إن لها فى التوراة أحد عشر اسما : المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة . وعن كعب الأحبار قال : إنا نجد فى التورة يقول الله تعالى للمدينة يا طيبة ويا طابة ويا مسكينة لا تقلى الكنوز أرفع أحاجرك على أحاجر القرى وقوله (لا مقام لكم) أى ههنا يعنون عند النبى صلى الله عليه وسلم فى مقام المرابطة (فارجعوا) أى إلى بيوتكم ومنازلكم (ويستأذن فريق منهم النبى) قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيظى يعنى اعتذروا فى الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أى ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى (وما هى بعورة) أى ليست كما يزعمون (إن يريدون إلا فرارا) أى هربا من الزحف

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين (يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا) أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهى الدخول فى الكفر لكفروا سريعاً وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ، هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم فى غاية الذم ، ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف (وكان عهد الله مسئولا) أى وإن الله سيسألهم عن ذلك العهد لابد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا فى تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى (وإذاً لا تمتعون إلا قليلا) أى بعد هربكم وفراركم (قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى) ثم قال تعالى (قل من ذا الذى يعصمكم من الله) أى يمنعكم (إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً) أى ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾

يخبر تعالى عن إحاطه علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أى أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم (هلم إلينا) أى إلى ما نحن فيه من الاقامة فى الظلال والثمار وهم مع ذلك (لا يأتون البأس إلا قليلا * أشحة عليكم) أى بخلاء بالمودة والشفقة عليكم ، وقال السدى (أشحة عليكم) أى فى الغنائم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) أى من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) أى فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغاً فصيحاً عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية فى الشجاعة والنجدة وهم يكذبون فى ذلك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما (سلقوكم) أى استقبلوكم ، وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أى ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال فى أمثالهم الشاعر:

أفى السلم أعيار جفاء وغلظة ... وفى الحرب أمثال النساء العوارك

أى فى حال المسالمة كأنهم الحمر ، والأعيار جمع عير وهو الحمار ، وفى الحرب كأنهم النساء الحيض ، ولهذا قال تعالى (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا هينا عنده .

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة فى الجبن والخور والخوف (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم) أى ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم فى المدينة بل فى البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) أى ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قيلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم فى الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى فى سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب) أى هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذى يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى (وصدق الله ورسوله) . وقوله تعالى (وما زادهم إلا إيماناً وتسليما) دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة ومعنى قوله جلت عظمته (وما زادهم) أى ذلك الحال والضيق والشدة (إلا إيماناً) بالله (وتسليما) أى انقيادا لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذى كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و (صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) قال بعضهم أجله وقال البخارى عهده وهو يرجع إلى الأول (ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) أى وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه ، قال البخارى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) تفرد به البخارى دون مسلم وأخرجه أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى فى التفسير من سننيهما من حديث الزهرى به وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنى أبى عن ثمامة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر رضى الله عنه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الآية انفرد به البخارى من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق أخر . قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قال أنس : عمى أنس بن النضر رضى الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له أنس رضى الله عنه يا أبا عمرو أين واها لريح الجنة إنى أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجد فى جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمتى الربيع ابنة النضر فما عرفت أخى إلا ببنانه قال فنزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه ، وفى أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائى أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن أنس رضى الله قال إن عمه يعنى أنس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدنى الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما أصنع ، قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء — يعنى أصحابه — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — يعنى المشركين — ثم تقدم فلقيه سعد يعنى ابن معاذ رضى الله عنه دون أحد فقال أنا معك قال سعد رضى الله عنه فلم أستطع أن أصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفى أصحابه نزلت (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) وأخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه أيضا عن إسحق بن إبراهيم كلاهما عن يزيد بن هرون به

وقال الترمذى حسن . وقد رواه البخارى فى المغازى عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن أنس رضى الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضى الله عنه به : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن الفضل العسقلانى حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله حدثنى أبى عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضى الله عنه قال : لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والذخر ثم قرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) الآية كلها ، فقام اليه رجل من المسلمين فقال يارسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وعلى ثوبان أخضران حضرميان فقال « أيها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحى به ، وأخرجه الترمذى فى التفسير والمناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما رضى الله عنه به وقال حديث غريب لانعرفه إلامن حديث يونس وقال أيضا حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى حدثنا أبو عامر - يعنى العقدى - حدثنى إسحاق - يعنى ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعانى فقال ألا أضع عندك يا ابن أخى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحمانى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحى عن موسى بن طلحة قال : قام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه) يعنى عهده (ومنهم من ينتظر) قال يوما فيه القتال فيصدق فى اللقاء وقال الحسن (فمنهم من قضى نحبه) يعنى موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم : نحبه نذره وقوله تعالى (وما بدلوا تبديلا) أى وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا (إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار) وقوله تعالى (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أى إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشىء قبل كونه ولكن لايعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فهذا علم بالشىء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده : وكذا قال الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) ولهذا قال تعالى ههنا (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى بصبرهم على ماعاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه (ويعذب المنافقين) وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته فى الدنيا إن شاء استمر بهم على مافعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هى الغالبة لغضبه قال (إن الله كان غفوراً رحيما)

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التى أرسلها على عاد ولكن قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا لافى

الدنيا مما كان فى أنفسهم من الظفر والغنم ولا فى الآخرة بما تحملوه من الآثام فى مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه ، ومن هم بشىء وصدق همه بفعله فهو فى الحقيقة كفاعله . وقوله تبارك وتعالى (وكفى الله المؤمنين القتال) أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ؛ بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ؛ وهزم الأحزاب وحده فلا شىء بعده » أخرجاه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . وفى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ؛ اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفى قوله عز وجل (وكفى الله المؤمنين القتال) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون فى بلادهم ، قال محمد بن إسحق لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة ، وهذا الحديث الذى ذكره محمد بن إسحق حديث صحيح كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى أبو إسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب « الآن نغزوهم ولا يغزونا » وهكذا رواه البخارى فى صحيحه من حديث الثورى وإسرائيل عن أبى إسحق به وقوله تعالى (وكان الله قويا عزيزا) أى بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾

قد تقدم أن بنى قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حيى بن أخطب النضرى لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئتك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحابيشها وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل والله أتيتنى بذل الدهر . ويحك يا حيى إنك مشئوم فدعنا منك فلم يزل يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابه واشترط له حيى إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شىء أن يدخل معهم فى الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما نقضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أيده الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة فى بيت أم سلمة رضى الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن رجوعى من طلب القوم ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قريظة ، وفى رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعتم السلاح ؟ قال « نعم » قال لكنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم « أين ! » قال بنى قريظه فان الله تعالى أمرنى أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير إلى بنى قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة فى الطريق فصلى بعضهم فى الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير ، وقال آخرون لا نصليها إلا فى بنى قريظة فلم يعنف

واحداً من الفريقين ، وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأعطى الراية لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم فى الجاهلية ؟ واعتقدوا أنه يحسب إليهم فى ذلك كما فعل عبد الله بن أبى ابن سلول فى مواليه بنى قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبى فى أولئك ولم يعلموا أن سعدا رضى الله عنه كان قد أصابه سهم فى أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله ﷺ فى أكحله وأنزله فى قبة فى المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة، فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه ، لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه المسلمون فأنزلوه اعظاما واكراما واحتراما له فى محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هؤلاء — وأشار إليهم — قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت » فقال رضى الله عنه وحكمى نافذ عليهم ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وعلى من فى هذه الخيمة؟ قال « نعم » قال وعلى من ههنا وأشار إلى الجانب الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالا وإكراما وإعظاما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال رضى الله عنه إنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » ، وفى رواية « لقد حكمت بحكم الملك » ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فخدت فى الأرض وجىء بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه فى كتاب السيرة الذى أفردناه موجزا وبسيطا ولله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) يعنى بنى قريظة من اليهود من بعض أسباط بنى إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا فى اتباع النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فعليهم لعنة الله ؟ وقوله تعالى (من صياصيهم) يعنى حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم من السلف ومنه سمى صياصى البقر وهى قرونها لأنها أعلى شىء فيها (وقذف فى قلوبهم الرعب) وهو الخوف لأنهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبى صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين ورأموا قتلهم ليعزوهم فى الدنيا فانعكس عليهم الحال ، وانقلب إليهم القال انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة أن هذه هى الصفقة الخاسرة ؟ ولهذا قال تعالى (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) فالذين قتلوا هم المقاتلة والأسراء هم الأصغر والنساء ، وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا فى فأمر بى النبى صلى الله عليه وسلم أن ينظروا هل أنبت بعد فنظروا فلم يجدونى أنبت فخلى عنى وألحقنى بالسبى ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذى حسن صحيح ، ورواه النسائى أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أى جعلها لكم من قتلكم لهم (وأرضا لم تطأوها) قيل خيبر وقيل

مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً (وكان الله على كل شيء قديرا) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الأرض ورائى فإذا أنا بسعد بن معاذ رضى الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست إلى الأرض فمر سعد رضى الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضى الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول :

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة له تعنى المغفر فقال عمر رضى الله عنه ماجاء بك ؟ لعمرى والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بى ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال : ياعمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التخور أو الفرار إلا إلى الله تعالى قالت ورمى سعدا رضى الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضى الله عنه فقال : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة قالت وكانوا حلفاءه وموالية فى الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد رضى الله عنه فى المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وان على ثناياه لنقع الغبار فقال أوقد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بنى تميم وهم جيران المسجد فقال « من مر بكم » قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم إنه الذبح ، قالوا نتزل على حكم سعد ابن معاذ رضى الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضى الله عنه فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك وموالیك وأهل الكتاب[1] ومن قد علمت قالت فلا يرجع اليهم شيئا ولا يلتفت اليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم . قالت قال أبو سعيد فلما طلع : قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر رضى الله عنه سيدنا الله قال « أنزلوه » فأنزلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احكم فيهم » قال سعد رضى الله عنه فانى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد رضى الله عنه : فقال اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك ، قال فانفجر كلمه وكان قد برئ منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما قالت فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء أبى بكر رضى الله عنه من بكاء عمر رضى الله عنه وأنا فى حجرتى وكانوا كما قال الله تعالى (رحماء بينهم) قال علقمة فقلت أى أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخارى

(١) فى النسخة المكية : وأهل النكاية .

ومسلم من حديث عبد الله بن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها نحوا من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد رضى الله عنه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ماعنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . قال البخارى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلى حتى تستأمرى أبويك » وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت ثم قال « إن الله تعالى قال (يا أيها النبي قل لأزواجك) » إلى تمام الآيتين فقلت له ففى أى هذا استأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وكذا رواه معلقا عن الليث حدثنى يونس عن الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت وقد حكى البخارى أن معمرا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهرى عن أبى سلمة وتارة رواه عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبى حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال : قالت عائشة رضى الله عنها لما نزل الخيار قال لى رسول الله ﷺ « إنى أريد أن أذكر لك أمرا فلا تقضى فيه شيئا حتى تستأمرى أبويك » قالت قلت وما هو يارسول الله ؟ قالت فرده علىها فقالت وما هو يارسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يارسول الله ؟ قالت فقرأ ﷺ عليها (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياعائشة إنى عارض عليك أمرا فلا تفتاتى فيه بشىء حتى تعرضيه على أبويك أبى بكر وأم رومان رضى الله عنهما » فقلت يارسول الله وما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) » قالت فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر فى ذلك أبوى أبا بكر وأم رومان رضى الله عنهما . فضحك رسول الله ﷺ ثم استقرأ الحجر فقال « إن عائشة رضى الله عنها قالت كذا وكذا » فقلن ونحن نقول مثل ماقالت عائشة رضى الله عنهن كلهن ورواه ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الأشج عن أبى أسامة عن محمد بن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموى حدثنا أبى حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ لما نزل[1] إلى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال « سأذكر لك أمرا فلا تعجلى حتى تستشيرى أباك » فقلت وماهو يارسول الله ؟ قال « إنى أمرت أن أخيركن » وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين قالت فقلت وما الذى تقول لاتعجلى حتى تستشيرى أباك ؟ فانى أختار الله ورسوله . فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصرى حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور

(١) بياض بالأصل .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت عائشة رضى الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بى أول امرأة من نسائه فقال ﷺ « إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك » قالت وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت ثم قال « إن الله تبارك وتعالى قال (يا أيها النبى قل لأزواجك) » الآيتين قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أفى هـذا أستأمر أبوى ؟ فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن وأخرجه البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئاً أخرجاه من حديث الأعمش . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبدالملك بن عمرو حدثنا زكريا بن إسحق عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلا والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضى الله عنه لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال « هن حولى يسألنى النفقة » فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضى الله عنها فقال « إنى أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك » قالت وما هو ؟ قال فتلا عليها (يا أيها النبى قل لأزواجك) الآيه قالت عائشة رضى الله عنها أفيك أستأمر أبوى ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال ﷺ « إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما ميسراً لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » انفرد باخراجه مسلم دون البخارى فرواه هو والنسائى من حديث زكريا بن إسحق المكى به . وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا على بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد الله بن على بن أبى رافع عن عثمان بن على بن الحسين عن أبيه عن على رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق وهـذا منقطع . وقد روى عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فانه قال (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أى أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن ، وقد اختلف العلماء فى جواز تزوج غيره لهن لو طلقهن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضى الله عنهن ، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حيي النضيرية(١) وميمونه بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى واعظا نساء النبى صلى الله عليه وسلم اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضى الله عنهما وهى النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضى الوقوع

(١) فى البغوى : الخيبرية .

كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وكقوله عز وجل (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار) فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال مالك عن زيد بن أسلم (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال فى الدنيا والآخرة ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله (وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا هينا ، ثم ذكر عدله وفضله فى قوله (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أى يطع الله ورسوله ويستجب (نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) أى فى الجنة فانهن فى منازل رسول الله ﷺ فى أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق فى الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبى ﷺ ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبى ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن فى الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى (فلا تخضعن بالقول) قال السدى وغيره يعنى بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى دغل (وقلن قولا معروفا) قال ابن زيد: قولا حسنا جميلا معروفا فى الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أى لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . وقوله تعالى (وقرن فى بيوتكن) أى الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات » وفى رواية « وبيوتهن خير لهن » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبى روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله تعالى فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « من قعدت ـ أو كلمة نحوها ـ منكن فى بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعلم . رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنى عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبى الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قعر بيتها » ورواه الترمذى عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « صلاة المرأة فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها » وهذا إسناد جيد ، وقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدى الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) يقول إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده

فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين فى التبرج . وقال ابن جرير حدثنى ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود يعنى ابن أبى الفرات حدثنا على بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تلا هذه الآية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفى النساء دمامة . وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئا من مثل الذى يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فاتتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه فى السنة فيتبرج النساء للرجال قال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وقوله تعالى (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهى الإحسان إلى المخلوقين (وأطعن الله ورسوله)) وهذا من باب عطف العام على الخاص. وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نص فى دخول أزواج النبى ﷺ فى أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى فى السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت فى نساء النبى ﷺ خاصة . وهكذا روى ابن أبى حاتم قال : حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهلته إنها نزلت فى شأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم فان كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظر فانه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ﴿ الحديث الأول ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا على بن يزيد عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضى الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبى إسحق أخبرنى أبو داود عن أبى الحمراء قال رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة رضى الله عنهما فقال « الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث كذاب ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أيضاً أيضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعى حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع رضى عنه وعنده قوم فذكروا علياً رضى الله عنه فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لى شتمت هذا الرجل قلت قد شتموه فشتمته معهم ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضى الله عنها أسألها عن على رضى الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على وحسن وحسين رضى الله عنهم آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضى الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسيناً رضى الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا ﷺ هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحق» . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبى عمير عن الوليد بن مسلم عن أبى عمرو الأوزاعى بسنده نحوه زاد فى آخره قال واثلة رضى الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليك من أهلك ؟ قال صلى الله عليه

وسلم « وأنت من أهلى » قال واثلة رضى الله عنه وإنها من أرجى ما أرتجى، ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربى عن شداد بن أبى عمار قال إنى لجالس عند واثلة بن الأسقع رضى الله عنه إذ ذكروا عليا رضى الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموه إنى عند رسول الله ﷺ إذ جاء على وفاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم فألقى ﷺ عليهم كساء له ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قلت يا رسول الله وأنا ؟ قال ﷺ « وأنت » قال فوالله إنها لأوثق عمل عندى

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح حدثنى من سمع أم سلمة رضى الله عنها تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها فأتته فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها « ادعى زوجك وابنيك » قالت فجاء على وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيبرى قالت وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضى الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ») قالت فأدخلت رأسى البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير إنك إلى خير » فى إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زربى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال « أين ابن عمك وابناك ؟ » فقالت رضى الله عنها فى البيت فقال صلى الله عليه وسلم « ادعيهم » فجاءت إلى على رضى الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضى الله عنها فلما رآهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم ابن سعد قال ذكرنا على ابن أبى طالب رضى الله عنه عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت فى بيتى نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتى فقال « لا تأذنى لأحد » فجاءت فاطمة رضى الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن رضى الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضى الله عنها ثم جاء على رضى الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا ؟ قالت فوالله ما أنعم وقال « إنك إلى خير » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبى المعدل عن عطية الطفاوى عن أبيه قال إن أم سلمة رضى الله عنها حدثته قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى يوما إذ قالت الخادم إن فاطمة وعليا رضى الله عنهما بالسدة قالت فقال لى رسول الله ﷺ « قومى فتنحى عن أهل بيتى » قالت فقمت فتنحيت فى البيت قريبا فدخل على وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما فى حجره فقبلهما واعتنق عليا رضى الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضى الله عنها باليد الأخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال « اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتى » قالت فقلت وأنا يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « وأنت » « ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير

حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضى الله عنها قالت إن هذه الآية نزلت فى بيتى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يارسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن جرير أيضا عن أبى كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنها بنحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثنى موسى بن يعقوب حدثنى هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتنى أم سلمة رضى الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله عز وجل ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى » قالت أم سلمة رضى الله عنها فقلت يارسول الله أدخلنى معهم فقال ﷺ « أنت من أهلى » .

﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن جرير أيضا عن أحمد بن محمد الطوسى عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الأصبهانى عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن أبى سلمة عن أمه رضى الله عنها بنحو ذلك ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة رضى الله عنها خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها معه ثم جاء على رضى الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وراه مسلم عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن محمد بن بشر به . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعنى ابن حوشب رضى الله عنه عن ابن عم له قال دخلت مع أبى على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن على رضى الله عنه فقالت رضى الله عنها : تسألنى عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت فدنوت منهم فقلت يارسول الله وأنا من أهل بيتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « تنحى فانك على خير » ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزى حدثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على وحسن وحسين وفاطمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) » قد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبى سعيد عن أم سلمة رضى الله عنها كما تقدم وروى ابن أبى حاتم من حديث هرون بن سعد العجلى عن عطية عن أبى سعيد رضى الله عنه موقوفاً والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضى الله عنه قال : قال سعد رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحى فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضى الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال « رب هؤلاء أهلى وأهل بيتى » ﴿ حديث آخر ﴾ وقال مسلم فى صحيحه حدثنى زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنى أبو حيان حدثنى يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر ابن سلمة إلى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يازيد خيراً كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا . حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفوا فيه ، ثم قال : قام فينا رسول الله ﷺ

يوما خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عزوجل ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثا فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال نعم . ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والأخذ بها أحرى . وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت فان في بعض أسانيدها نظرا والله أعلم ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكرا سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدي هذا » فهذا من هذا القبيل فان الآية إنما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخر ، ولكن إذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك والله أعلم ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي جميلة قال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي عنهما قال . فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره ، وزعم حصين انه بلغه ان الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه ساجد . قال فيزعمون ان الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهرا ثم برأ فقعد على المنبر فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء ، وقال السدي عن أبي الديلم قال : قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال نعم ولأنتم هم ؟ قال : نعم وقوله تعالى (إن الله كان لطيفاً خبيرا) أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن بذلك ، قال ابن جرير رحمه الله واذكروا نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه (إن الله كان لطيفاً خبيراً) أي ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة . وهي السنة ، خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) قال يمتن عليهن

بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفى فى قوله تعالى (إن الله كان لطيفاً خبيرا) يعنى لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها رواه ابن أبى حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة .

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ وسلم تقول قلت للنبى ﷺ ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعنى منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعرى فلففت شعرى ثم خرجت إلى حجرتى حجرة بيتى فجعلت سمعى عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » إلى آخر الآية وهكذا رواه النسائى وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله ﴿ طريق أخرى عنها ﴾ قال النسائى أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ يانبى الله مالى أسمع الرجال يذكرون فى القرآن والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقد رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى معاوية عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله أيذكر الرجال فى كل شىء ولا نذكر ؟ فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية (طريق أخرى) قال سفيان الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة رضى الله عنها يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان[1] بن مظاهر العمرى حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النساء للنبى صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبى ﷺ فقلن قد ذكركن الله تعالى فى القرآن ولم نذكر بشىء أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) الآية فقوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه لقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) وفى الصحيحين « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه أول فى شرح البخارى . وقوله تعالى (والقانتين والقانتات) القنوت هو الطاعة فى سكون (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وقال تعالى (وله من فى السماوات والأرض كل له قانتون) (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) (وقوموا لله قانتين) فالإسلام بعده مرتبة يرتقى إليها وهو الإيمان ثم القنوت ناشىء عنهما (والصادقين والصادقات) هذا فى الأقوال فان الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضى الله عنه لم تجرب عليه كذبة لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام ، وهو علامة على الإيمان كما أن الكذب أمارة على النفاق ، ومن صدق نجا ، عليكم بالصدق فان الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » والأحاديث فيه كثيرة جداً (والصابرين والصابرات) هذه سجية الأثبات وهى الصبر على المصائب والعلم بأن المقدر كائن لا محالة وتلقى

(١) الذى فى تفسير ابن جرير سيار بن مظاهر العنزى وهو الموافق لما فى تقريب التهذيب .

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أى أصعبه فى أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع : السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله — فذكر منهم — ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفى الحديث الآخر « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أى عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكرا » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة فى كثرة الذكر عند قوله تعالى فى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى(أعدالله لهم مغفرة وأجرا عظيما)خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أى أن الله تعالى قد أعد لهم أى هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسى وقال ابن لهيعة عن أبى عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هى وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فنعم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية فى سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال صلى الله عليه وسلم « فانى قد رضيته » قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن انفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبى برزة الأسلمى قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاعبهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجنى ابنتك » قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إنى لست أريدها لنفسى » قال فلمن يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجليبيب » فقال يا رسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب فقالت: أجليبيب، ابنه أجليبيب ابنه ؟ لا لعمر الله لا تزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتى رسول الله ﷺ فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبنى إليكم فأخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعونى إليه فانه لن يضيعنى فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضى الله عنهم « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم « انظروا هل تفقدون من أحد » قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم « لكننى أفقد جليبيبا » قال صلى الله عليه وسلم « فاطلبوه فى القتلى » فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا منى وأنا منه » مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه فى قبره ولم يذكر أنه غسله رضى الله عنه قال ثابت رضى الله فما كان فى الأنصار أيم أنفق منها وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ثابتا هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال « اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا » وكذا كان فما كان فى الأنصار أيم أنفق منها هكذا أورده الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائى فى الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب أن الجارية لما قالت فى خدرها أتردون على رسول الله ﷺ أمره نزلت هذه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقال ابن جريج أخبرنى عامر بن مصعب عن طاوس قال إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضى عنه الله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فهذه الآية عامة فى جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشىء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفى الحديث « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولهذا شدد فى خلاف ذلك فقال (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) كقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأنعمت عليه) أى بالعتق من الرق وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر حبيبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لا استخلفه ، رواه الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهى عنها . وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرنى عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال حدثنى أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : كنت فى المسجد فأتانى العباس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت : على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم « أتدرى ما حاجتهما ؟ » قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

«لكنى أدرى» قال فأذن لهما قالا يا رسول الله جئناك لتخبرنا أى أهلك أحب إليك ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أحب أهلى إلى فاطمة بنت محمد » قالا يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة ، قال صلى الله عليه وسلم « فأسامة بن زيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه » وكان رسول الله صلى عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها وأمها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان ، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله » قال الله تعالى (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير هاهنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها . وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا . وقد روى البخارى أيضا بعضه مختصرا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى ابن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن هذه الآية (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن هاشم ابن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن على بن زيد بن جدعان قال سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن فى قوله تعالى (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها إليه قال «اتق الله وأمسك عليك زوجك » فقال: قد أخبرتك أنى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثنى إسحق بن شاهين حدثنى خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى لكتم (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الوطر هو الحاجة والأرب أى لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر ، قال الإمام أحمد حدثنا هاشم يعنى ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة « اذهب فاذكرها على » فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائى من طرق عن سليمان ابن المغيرة به ، وقد روى البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا فى سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضى الله عنهما فقالت زينب رضى الله عنها أنا التى نزل تزويجى من السماء ، وقالت عائشة رضى الله عنها أنا التى نزل عذرى من السماء فاعترفت لها زينب رضى الله عنها وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبى قال : كانت

زينب رضى الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إنى لأدل عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدى وجدك واحد ، وإنى أنكحنيك الله عزوجل من السماء ، وإن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام . وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) أى إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين فى تزويج مطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد ابن حارثة رضى الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم — إلى قوله تعالى — ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضى الله عنه ،ولهذا قال تعالى فى آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ليحترز من الابن الدعى فان ذلك كان كثيرا فيهم . وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) أى وكان هذا الأمر الذى وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة ، كانت زينب رضى الله عنها فى علم الله ستصير من أزواج النبى ﷺ

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾

يقول تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى هذا حكم الله تعالى فى الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشىء وعليهم فى ذلك حرج وهذا رد عن من توهم من المنافقين نقصا فى تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذى كان قد تبناه (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى وكان أمره الذى يقدره كائنا لا محالة وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا * مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

يمدح تبارك وتعالى (الذين يبلغون رسالات الله) أى إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أى يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيبا) أى وكفى بالله ناصرا ومعينا ، وسيد الناس فى هذا المقام بل وفى كل مقام محمد رسول الله ﷺ فانه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بنى آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو صلى الله عليه وسلم فانه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله فى ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثة كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدى المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن تخشى » ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثورى عن زيد عن عمرو بن مرة ، ورواه ابن ماجه عن أبى كريب عن عبد الله بن نمير وأبى معاوية كلاهما عن الأعمش به . وقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر

من خديجة رضى الله عنها فماتوا صغارا ، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضا رضيعا وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فمات فى حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لستة أشهر وقوله تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) كقوله عزوجل (الله أعلم حيث يجعل رسالته) فهذه الآية نص فى أنه لا نبى بعده وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدى حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذى عن بندار عن أبى عامر العقدى به وقال حسن صحيح ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار ابن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن المبشرات » قالوا يارسول الله وما المبشرات ؟ قال « رؤيا الرجل المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسى حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذى صحيح غريب من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » انفرد به مسلم من رواية الأعمش به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبى قال سمعت أبا الطفيل رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نبوة بعدى إلا المبشرات » قيل وما المبشرات يا رسول الله قال « الرؤيا الحسنة » — أو قال — « الرؤيا الصالحة » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكنت أنا اللبنة » أخرجاه من حديث عبد الرزاق ﴿ حديث آخر ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلى بن حجر قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسماعيل بن جعفر وقال الترمذى حسن صحيح ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وأبى كريب

كلاهما عن أبي معاوية به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الزهرى أخبرنى محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لى أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى » أخرجاه فى الصحيحين . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودّع فقال « أنا محمد النبى الأمى — ثلاثا — ولا نبى بعدى ، أتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش، وتجوز بى، وعوفيت وعوفيت أمتى ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا حرامه » تفرد به الإمام أحمد

ورواه الإمام أحمد أيضا عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولانى عن أبى قبيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فذكر مثله سواء والاحاديث فى هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له ، وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولى الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه فانهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون فى غاية الافك والفجور فى أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل كل أفاك أثيم) الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فى غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمراً مادامت الأرض والسموات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثنى مولى ابن عباس عن أبى بحرية عن أبى الدراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله

عز وجل » وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالله بن سعيد بن أبى هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبى بحرية واسمه عبدالله بن قيس البراغمى عن أبى الدرداء رضى الله عنه به ، قال الترمذى ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) فى مسند الإمام أحمد من حديث زيادبن أبىزياد مولى عبدالله بن عباس أنه بلغه عنمعاذبن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه فالله أعلم. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثناروح بن فضالة عن أبى سعيد الحمصى قال : سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول : دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبىفضالة الفرج بنفضالة عنأبى سعيد الحمصى عنأبى هريرة رضى الله عنه فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبىسعيد المرى عن أبى هريرة رضى الله عنه فذكره . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بنمهدى عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يارسول أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم « منطال عمره وحسن عمله » وقال الآخر يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرنى بأمر أتشبث به قال صلى الله عليه وسلم « لايزال لسانك رطبا بذكرالله تعالى» وروى الترمذى وابن ماجه الفصل الثانى من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذى حديث حسن غريب . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : إن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » . وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفين الجحدرى حدثنا الحسن بن أبى جعفر عنعقبة بن أبىشبيب الراسبى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكراً » حتى يقول المنافقون إنكم تراءون » ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيدمولى بنى هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبى سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة ، وقال على بنأبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (اذكروا الله ذكراً كثيرا) إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لهاحدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على تركه فقال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عز وجل (وسبحوه بكرة وأصيلا) فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والأحاديث والآيات والآثار فى الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفى هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار منذلك . وقد صنف الناس فى الأذكار المتعلقة بآناءالليل والنهار كالنسائى والمعمرى وغيرهما . ومن أحسن الكتب المؤلفة فى ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وقوله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) أى عند الصباح والمساء كقوله عز وجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وقوله تعالى (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) هذا تهييج إلى الذكر أىأنهسبحانه يذكركم فاذكروه أنتم كقوله عزوجل (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمه ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون * فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) وقال النبى ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فىملأ خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخارى عن أبى العالية ورواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عنه ، وقال غيره الصلاة من الله عزوجل الرحمة . وقد يقال

لا منافاة بين القولين والله أعلم ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات) الآية . وقوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين (وكان بالمؤمنين رحيما) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطغام ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني، ابني وسعت فأخذته فقال القوم يارسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا ، والله لا يلقى حبيبه في النار » إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الإمام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ » قالوا لا قال رسول الله ﷺ فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم عليهم كما قال عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير : [قلت] وقد يستدل بقوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) . وقوله تعالى (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي به . ورواه في التفسير عن عبد الله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به .

وقال البخاري في البيوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، وقال وهب بن منبه إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعياء : أن قم في قومك بني إسرائيل فاني منطق لسانك بوحي وأبعث أميا من الأميين ، أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من

سكينته ، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لايقول الخنا ، أفتح به أعينا كمها وآذانا صما وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة . وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلى ؛ ألهمهم التسبيح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لى قياما وقعودا ويقاتلون فى سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتى ألوفا ، يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب فى الأنصاف ، قربانهم دماؤهم . وأناجيلهم فى صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل فى أهل بيته وذريته السابقين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم ، أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئا مما فى أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذى بدأته بأولهم ، ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم. هكذا رواه ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه اليمانى رحمه الله . ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن ابن محمد بن عبيد الله القرشى عن شيبان النحوى أخبرنى قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وقد كان أمر عليا ومعاذا رضى الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) » ورواه الطبرانى عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادى عن عبد الرحمن بن صالح الأزدى عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمى بإسناده مثله ، وقال فى آخره « فانه قد أنزل على يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا منيرا بالقرآن» . فقوله تعالى (شاهدا) أى لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقوله (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وقوله عز وجل (ومبشرا ونذيرا) أى بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب . وقوله جلت عظمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أى داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك (وسراجا منيرا) أى وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس فى إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند . وقوله جل وعلا (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) أى لا تطعهم وتسمع منهم فى الذى يقولونه (ودع أذاهم) أى اصفح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على العقد وحده وليس فى القرآن آية أصرح فى ذلك منها ، وقد اختلفوا فى النكاح هل هو حقيقة فى العقد وحده أو فى الوطء أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو فى العقد والوطء بعده إلا فى هذه الآية فانه استعمل فى العقد وحده لقوله تبارك وتعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى (المؤمنات) خرج

مخرج الغالب إذ لا فرق فى الحكم بين المؤمنة والكتابية فى ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد ابن المسيب والحسن البصرى وعلى بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح لأن الله تعالى قال (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فعقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعى وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال إن تزوجت فلانة فهى طالق ، فعندهما متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما إذا قال كل امرأة أتزوجها فهى طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة . وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزى حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعنى ابن أبى إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال إذا قال كل امرأة أتزوجها فهى طالق قال ليس بشىء من أجل أن الله تعالى يقول (يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن يناق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنما قال الله عزوجل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال الله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى هذا حديث حسن وهو أحسن شىء روى فى هذا الباب ، وهكذا روى ابن ماجه عن على والمسور بن مخرمة رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طلاق قبل النكاح » ،وقوله عزوجل (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج فى فورها[1] من شاءت ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالا جماع أيضا ، وقوله تعالى (فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها . قال الله تعالى (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) وقال عز وجل (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقاً على المحسنين) وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد وأبى أسيد رضى الله عنهما قالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين ، قال على ابن أبى طلحة رضى الله عنهما إن كان سمى لها صداقا فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمى لها صداقا أمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتى أعطاهن مهورهن وهى الأجور

(١) فى النسخة المكية : فى قرئها .

هنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتى عشرة أوقية ونشز وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم إلا أم حبيبة بنت أبى سفيان فانه أمهرها عنه النجاشى رحمه الله تعالى أربعمائة دينار وإلا صفية بنت حيي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها ـ رضى الله عنهن أجمعين ـ وقوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أى وأباح لك التسرى مما أخذت من المغانم وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكانتا من السرارى رضى الله عنهما وقوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) الآية هذا عدل وسط بين الافراط والتفريط فان النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع ، وإنما قال (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الإناث لنقصهن كقوله (عن اليمين والشمائل) (يخرجهم من الظلمات إلى النور)(وجعل الظلمات والنور) وله نظائر كثيرة وقوله تعالى (اللاتى هاجرن معك) قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار ابن الحارث الرازى حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدى عن أبى صالح عن أم هانىء قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرنى ، ثم أنزل الله تعالى (إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليه وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك قالت فلم أكن أحل له ولم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء. ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبى حاتم من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح عنها بنحوه ، ورواه الترمذى فى جامعه . وهكذا قال أبو رزين وقتادة إن المراد من هاجر معه إلى المدينة . وفى رواية عن قتادة (اللاتى هاجرن معك) أى أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود (واللائى هاجرن معك)

وقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك) الآية أى ويحل لك أيها النبى المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالى فيها شرطان كقوله تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وكقول موسى عليه السلام (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال ههنا(وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى)الآية وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسحق أخبرنا مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إنى قد وهبت نفسى لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ « هل عندك من شىء تصدقها إياه ؟ » فقال ما عندى إلا إزارى هذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئاً » فقال لا أجد شيئا ، فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئاً ، فقال له النبى ﷺ « هل معك من القرآن شىء؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا ـ السور يسميها ـ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم «زوجتكها بما معك من القرآن » أخرجاه من حديث مالك وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله هل لك فى حاجة فقالت ابنته ما كان أقل حياءها فقال « هى خير منك رغبت فى النبى فعرضت عليه نفسها » انفرد بإخراجه البخارى من حديث مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت البنانى عن أنس به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الخضرمى عن أنس بن مالك أن امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لى كذا وكذا فذكرت من حسنها وجمالها فآثرتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيئا قط فقال «لا حاجة لى فى ابنتك»

لم يخرجوه ،وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم ، وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة . فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا : تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستا من قريش: خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر: ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعاذت منه وزينب بنت جحش الأسدية ، والسبيتين صفية بنت حيي ابن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا مرسل والمشهور أن زينب التي كانت تدعى أم المساكين هي زينب بنت خزيمة الأنصارية وقد ماتت عند النبي ﷺ في حياته فالله أعلم . والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباحا له ولكن مخصوصا به لأنه مردود إلى مشيئته كما قال الله تعالى (إن أراد النبي أن يستنكحها) أي إن اختار ذلك .

وقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو ان امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله ﷺ بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فأما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاء وامن الإماء واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه (لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما)

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحى المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق ؟ فأنزل الله عز وجل (ترجي من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) الآية قالت إنى أرى ربك يسارع لك فى هواك . وقد تقدم أن البخارى رواه من حديث أبى أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله (ترجى) أى تؤخر (من تشاء منهن) أى من الواهبات (وتؤوى إليك من تشاء) أى من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قال عامر الشعبى فى قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن) الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده ، منهن أم شريك ، وقال آخرون بل المراد بقوله (ترجى من تشاء منهن) الآية أى من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبى رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبى ﷺ يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة ، وقال البخارى حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله صلى عليه وسلم : كان يستأذن فى اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فقلت لها ما كنت تقولين ؟ فقالت كنت أقول إن كان ذلك إلى فانى لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدا . فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم وحديثها الأول يقتضى أن الآية نزلت فى الواهبات ، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة فى الواهبات وفى النساء اللاتى عنده أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذى اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أى إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج فى القسم ، فان شئت قسمت وإن شئت لم تقسم لا جناح عليك فى أى ذلك فعلت ثم مع هذا أن تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك فى ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن فى قسمتك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن . وقوله تعالى (والله يعلم ما فى قلوبكم) أى من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » يعنى القلب . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى (وكان الله عليما) أى بضمائر السرائر (حليما) أى يحلم ويغفر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنيعهن فى اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى الآية ، فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسرارى فلا حرج عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج فى ذلك ونسخ

حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة رضى الله عنها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ، ورواه الترمذى والنسائى فى سننهما ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة حدثنى عمر بن أبى بكر حدثنى المغيرة بن عبد الرحمن الحزاعى عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة انها قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم . وذلك قول الله تعالى (ترجى من تشاء منهن) الآية فجعلت هذه ناسخة للتى بعدها فى التلاوة كآيتى عدة الوفاة فى البقرة ، الأولى ناسخة للتى بعدها والله أعلم ، وقال آخرون بل معنى الآية (لايحل لك النساء من بعد) أى من بعد ماذكرنا لك من صفة النساء اللاتى أحللنا لك من نسائك اللاتى آتيت أجورهن ومامـلكت يمينك ، وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، وهذا ماروى عن أبى بن كعب ومجاهد فى رواية عنه وعكرمة والضحاك فى رواية وأبى رزين فى رواية عنه وأبى صالح والحسن وقتادة فى رواية والسدى وغيرهم قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبى هند حدثنى محمد بن أبى موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال قلت لأبى بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم توفين اما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من ذلك ؟ قال قلت قول الله تعالى (لايحل لك النساء من بعد) فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى (ياأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك ـ إلى قوله تعالى ـ إن وهبت نفسها للنبى) ثم قيل له (لايحل لك النساء من بعد) ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داوديه ، وروى الترمذى عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك) فأحل الله فتياتكم المؤمنات ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) الآية

وقال تعالى (يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ـ إلى قوله تعالى ـ خالصة لك من دون المؤمنين) وحرم ماسوى ذلك من أصناف النساء ، وقال مجاهد (لايحل لك النساء من بعد) أى من بعد ماسمى لك لا مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح (لا يحل لك النساء من بعد) أمر أن لايتزوج أعرابية ولاعربية ويتزوج بعد من نساء تهامة وماشاء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال عكرمة (لايحل لك النساء من بعد) أى التى سمى الله ، واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفى النساء اللواتى فى عصمته وكن تسعا ، وهذا الذى قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف فان كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم . ثم أورد ابن جرير على نفسه ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) الآية ، وهذا الذى قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فان الآية إنما دلت على انه لا يتزوج بمن عدا اللواتى فى عصمته وأنه لايستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لايطلق واحدة منهن من غير استبدال فالله أعلم ، فأما قضية سودة ففى الصحيح عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها وهى سبب نزول قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) الآية ، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن صالح بن صالح بن حى عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا إسناد قوى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن أبى صالح عن ابن عمر قال : دخل عمر على

حفصة وهى تبكى فقال ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلى والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً . ورجاله على شرط الصحيحين . وقوله تعالى (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا مناسباً ذكره ههنا فقال حدثنا إبراهيم بن نصر حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام ابن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال: كان البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلنى امرأتك وأبادلك بامرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله (ولا أن تبدل بهن من أزوج ولو أعجبك حسنهن) قال فدخل عيينة بن حصن الفزارى على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأين الاستئذان ؟ » فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله ﷺ « هذه عائشة أم المؤمنين » قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ قال « ياعيينة إن الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحمق مطاع وإنه على ماترين لسيد قومه » ثم قال البزار : إسحاق بن عبد الله لين الحديث جداً وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه إلا من هذا الوجه وبينا العلة فيه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهى مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ثبت ذلك فى الصحيحين عنه أنه قال وافقت ربى عزوجل فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفجور فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم لما تمالأن عليه فى الغيرة (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك وفى رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهى قضيه رابعة وقد قال البخارى حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها فى صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش التى تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة الخامسة فى قول قتادة والواقدى وغيرهما ، وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط أن ذلك كان فى سنة ثلاث فالله أعلم قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إناه ولكن إذا دعيتم فادخلو فاذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا فى موضع آخر ، ومسلم والنسائى من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخارى منفردا به من حديث أيوب عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال « ارفعوا طعامكم » وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يارسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط فى البيت يتحدثون وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب . انفرد به البخارى من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الوارث ثم رواه عن إسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهمى عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم فى افراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبى عثمان اليشكرى عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته فى تور فقالت اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه منى السلام وأخبره أن هذا منا له قليل قال أنس: والناس يومئذ فى جهد فجئت به فقلت يارسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهى تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال « ضعه » فوضعته فى ناحية البيت ثم قال « اذهب فادع لى فلانا وفلانا » فسمى رجالا كثيرا وقال « ومن لقيت من المسلمين » فدعوت من قال لى ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال أنس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « جىء به » فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ما شاء الله » ثم قال « ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل إنسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدرى أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال وتخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا فى الحجرة فمكث رسول الله ﷺ فى بيته يسيراً وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلوا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى) الآيات قال أنس فقرأهن على قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهداً ، وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذى حسن صحيح وعلقه البخارى فى كتاب النكاح فقال : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبى عثمان عن أنس فذكر نحوه ، ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه ، وروا البخارى والترمذى من طريقين آخرين عن بيان بن بشر الأحمسى الكوفى عن أنس بنحوه ، ورواه ابن أبى حاتم أيضا من حديث أبى نضرة العبدى عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهرى عن أنس بنحو ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا بهزو هاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله

ﷺ لزيد « اذهب فاذكرها علي » قال فانطلق زيد حتى أتاها ـ قال ـ وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري ، وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية. وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع ـ وهو صعيد أفيح ـ وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين. قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » لفظ البخاري فقوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي) حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله ﷺ « إياكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه) قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متحينين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ، ثم قال تعالى (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين ، وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض » ولهذا قال تعالى (ولا مستأنسين لحديث) أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) وقيل المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى (والله لا يستحيي من الحق) أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حسن أو أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم عند الله عظيما) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده

قال رجل لسفيان: أهي عائشة ؟ قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدى أن الذى عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه محرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه فى الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها فى حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه فى عموم قوله (من بعده) أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فانه لم فى حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم، وقال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبى الله ﷺ مات وقد ملك قيلة ابنة الأشعث — يعنى ابن قيس — فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبى بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التى ارتدت مع قومها، قال فاطمأن أبو بكر رضى الله عنه وسكن، وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيما) ثم قال تعالى (إن تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شىء عليما) أى مهما تكنه ضمائركم وتنطوى عليه سرائركم، فإن الله يعلمه فانه لا تخفى عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم فى سورة النور عند قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من رجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ههنا. وقد سأل بعض السلف فقال: لم لم يذكر العم والخال فى هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبى بأنهما لم يذكرا لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما، قال ابن جرير حدثنى محمد بن المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبى وعكرمة فى قوله تعالى (لا جناح عليهن فى آبائهن) الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا ؟ قال لأنهما ينعتانها لأبنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها. وقوله تعالى (ولا نسائهن) يعنى بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات، وقوله تعالى (وما ملكت أيمانهن) يعنى به أرقاءهن من الذكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه، وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعنى به الإماء فقط رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى (واتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيدا) أى واخشينه فى الخلوة والعلانية فانه شهيد على كل شىء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

قال البخارى: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون يبركون هكذا علقه البخارى عنهما؛ وقد رواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء، رواهما ابن أبى حاتم، وقال أبو عيسى الترمذى وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو الأودى حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبى رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبى) قال: صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتى

غضبي . والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبدالرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي ، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية وقال تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم) الآية ، وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » ، وفي الحديث الآخر « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها : « صلى الله عليك وعلى زوجك » ، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان ، قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ! خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة ؟ فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ؛ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبدالرحمن بن أبي ليلى فذكرهم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ، ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم » قال أبو صالح عن الليث : على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم . حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد يعني ابن الهاد قال : كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهاد به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد قرأت على عبدالرحمن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته

كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذى من حديث مالك به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمى قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر أخبرنى محمد بن عبد الله بن زيد الأنصارى قال : وعبد الله بن زيد هو الذى كان أرى النداء بالصلاة أخبره عن أبى مسعود الأنصارى قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذى حسن صحيح وروى الإمام أحمد وأبوداود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم التيمى عن محمد بن عبدالله بن زيد بن عبدربه عن أبى مسعود البدرى أنهم قالوا يارسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا فى صلاتنا فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » وذكره ورواه الشافعى رحمه الله فى مسنده عن أبى هريرة بمثله ، ومن ههنا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن يجب على المصلى أن يصلى على رسول الله ﷺ فى التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الإمام الشافعى فى اشتراطه ذلك فى الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك ، وحكى الاجماع على خلافه أبو جعفر الطبرى والطحاوى والخطابى وغيرهم فيما نقله القاضى عياض عنهم ، وقد تعسف هذا القائل فى رده على الشافعى وتكلف فى دعواه الاجماع فى ذلك وقال مالم يحط به علما فانا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ فى الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين الشعبى وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعى لا خلاف عنه فى ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقى به ، وبه قال إسحق بن راهويه والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكى رحمهم الله حتى إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال فى الصلاة عليه ﷺ كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله فيما حكاه البندنيجى وسليم الرازى وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسى ، ونقله إمام الحرمين وصاحبه الغزالى قولا عن الشافعى . والصحيح أنه وجه ، على أن الجمهور على خلافه وحكموا الاجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم . والغرض أن الشافعى رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة سلفا وخلفا كما تقدم ولله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه فى هذه المسئلة لا قديما ولا حديثا والله أعلم . ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ، والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من رواية حيوة بن شريح المصرى عن أبى هانىء حميد بن هانىء عن عمرو بن مالك أبى على الحسينى عن فضالة ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبى فقال رسول الله ﷺ « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبى ثم ليدع بعد بما شاء » وكذا الحديث الذى رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد الساعدى عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه . ولا صلاة لمن لم يصل على النبى ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار » ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبرانى من رواية أخيه أبى بن عباس ولكن فى ذلك نظر وإنما يعرف من رواية عبد المهيمن والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل عن أبى داود الأعمى عن بريدة قال : قلنا

يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال ؟ « قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمدوعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » أبوداود الأعمى اسمه نفيع بن الحارث متروك

﴿حديث آخر﴾ موقوف رويناه من طريق سعيدبن منصور ويزيد بن هارون وزيدبن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندى أن عليا رضى الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحى المدحوات ، وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامى بركاتك ، ورأفة تحننك ، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لماسبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفزا فى مرضاتك غيرنكل فى قدم ، ولاوهن فى عزم ، واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم ، وأبهج موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهنآت له غير مكدرات ، من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المأمول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله . وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، مرضى المقالة ذا منطق عدل . وخطة فصل . وحجة وبرهان عظيم . هذامشهور من كلام على رضى الله عنه وقدتكلم عليه ابن قتيبة فى مشكل الحديث وكذا أبوالحسين أحمدبن فارس اللغوى فى جزء جمعه فى فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن فى إسناده نظرا . قال شيخنا الحافظ أبوالحجاج المزى : سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا . كذاقال وقد روى الحافظ أبوالقاسم الطبرانى هذا الأثر عن محمد بن على الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندى قال كان على رضى الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داحى المدحوات وذكره

﴿حديث آخر﴾ قال ابن ماجه حدثنا زيادبن عبدالله حدثنا المسعودى عن عون بن عبدالله عن أبى فاختة عن الأسود ابن يزيد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاماً محمودا يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذاموقوف ؛ وقدروى إسماعيل القاضى عن عبدالله بن عمرو أوعمر على الشك من الراوى قريباً من هذا ؛ ﴿حديث آخر﴾ قال ابن جرير حدثنا أبوكريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا أبو إسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فقال أنبأنى من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يارسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الأعرابى الذى قال: اللهم ارحمنى ومحمداً ولاترحم معنا أحداً فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت واسعاً » وحكى القاضى عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبى زيد ،

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيدالله قال سمعت عبدالله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ماصلى على فليقلّ عبد من ذلك أوليكثر » ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذى حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنى موسى بن يعقوب الزمعى حدثنى عبد الله بن كيسان أن عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » تفرد بروايته الترمذى رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب

﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول الله ﷺ « أتانى آت من ربى فقال لى مامن عبد يصلى عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً » فقام اليه رجل فقال يارسول الله ألا أجعل نصف دعائى لك ؟ قال « إن شئت » قال ألا أجعل ثلثى دعائى لك ؟ قال « إن شئت » قال ألا أجعل دعائى لك كله قال « إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة » فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عمن أسنده قال لاأدرى ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضى حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج فى جوف الليل فيقول « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال أبى يارسول الله إنى أصلى من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشطر » قال أفأجعل لك شطر صلاتى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الثلثان » قال أفأجعل لك صلاتى كلها قال « إذن يغفر لك الله ذنبك كله » وقد رواه الترمذى بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبى قلت يارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال « ماشئت » قلت الربع قال « ماشئت فان زدت فهو خير لك » قلت فالنصف قال « ماشئت فان زدت فهو خير لك » قلت فالثلثين قال « ماشئت فان زدت فهو خير لك » قلت أجعل لك صلاتى كلها قال « إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك » ثم قال هذا حديث حسن . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبى عن أبيه قال : قال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ؟ قال « إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعى ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبى عمر عن أبى الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه : قال فجئت أنظر فرفع رأسه فقال « مالك ياعبد الرحمن ؟ » قال فذكرت ذلك له فقال « إن جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك إن الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبى عمر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال : قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال « من هذا » قلت عبد الرحمن قال « ماشأنك » قلت يارسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها فقال « إن جبريل أتانى فبشرنى أن الله عزوجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عزوجل شكرا » ورواه إسماعيل بن إسحق القاضى فى كتابه عن يحيى بن عبد الحميد عن الدراوردى عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن بجير بن عبد الله بن معاوية بن بجير بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم النخعى عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه فذرع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبى ﷺ ساجدا فى مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه فقال « أحسنت ياعمر حين وجدتنى

ساجدا فتنحيت عنى إن جبريل أتانى فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات » وقداختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج على الصحيحين ، وقد رواه إسماعيل القاضى عن القعنبى عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب بنحوه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن على عن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يا رسول الله إنا لنرى السرور فى وجهك فقال « إنه أتانى الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عزوجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قلت ؟ بلى » ورواه النسائى من حديث حماد بن سلمة به ؛ وقد رواه إسماعيل القاضى عن إسماعيل بن أبى أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبى طلحة بنحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبى طلحة الأنصارى قال أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يرى فى وجهه البشر قالوا يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى فى وجهك البشر قال « أجل أتانى آت من ربى عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ؛ ومحا عنه عشر سيئات. ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناد جيد ولم يخرجوه . ﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبى طلحة وأنس وأبى بن كعب ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسين ابن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « صلوا على فانها زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى أعلا الجنة ولا ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو » تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبى هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن إسحاق البكالى حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علية عن ليث عن مجاهد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلوا على فانها زكاة لكم ، وسلوا الله لى الدرجة الوسيلة من الجنة » فسألناه أو أخبرنا فقال « هى درجة فى أعلى الجنة وهى لرجل وأرجو أن أكون ذلك الرجل » فى إسناده بعض من تكلم فيه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن بريح الحولانى سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال « أنا محمد النبى الأمى — قاله ثلاث مرات — ولا نبى بعدى ، أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بى عوفيت وعوفيت أمتى ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه :

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسى حدثنا أبو سلمه الخراسانى حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذكرت عنده فليصل على ومن صلى على مرة واحد صلى الله عليه عشراً » ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى داود الطيالسى عن أبى سلمة وهو المغيرة بن مسلم الخراسانى عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى عن أنس به ﴿ حديث آخر ﴾ عن أنس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن أبى إسحاق عن يزيد بن أبى مريم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك ابن عمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن على بن الحسين عن أبيه على بن الحسين

عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل على » وقال أبو سعيد « فلم يصل على » ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه

﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال العنزي حدثنا رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي » ﴿ حديث آخر ﴾ مرسل قال إسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب امرىء من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي علي »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » ثم قال حسن غريب . قلت وقد رواه البخاري في الأدب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليمي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم . وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن

وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه إسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال « ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » وحكى عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — في العمر مرة واحدة امتثالا لأمر الآية . ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ما حكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة . قال وقد حكى الطبري أن محل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة ومازاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله [قلت] وهذا قول غريب فانه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه . فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه بها

عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبوداود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة ﴿ طريق أخرى ﴾ قال إسماعيل القاضى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن على عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة » .

﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الأحبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة » قال فإما حدثنا وإما سألناه قال « الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لاينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبى سليم به وكذا الحديث الآخر . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمى عن رويفع بن ثابت الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وهذا إسناد لابأس به ولم يخرجوه ﴿ أثر حسن ﴾ قال إسماعيل القاضى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنى معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله فى الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام . إسناد جيد قوى صحيح .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » وقال إسماعيل القاضى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التيمى عن سليمان الضبى عن على بن الحسين قال ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم . وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها فى التشهد الأخير ومذهب إلى ذلك من العلماء منهم الشافعى رحمه الله وأكرمه، وأحمد ، وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولا واحدا وهل تستحب ؟ على قولين للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة فان السنة أن يقرأ فى التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ، وفى الثانية أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى الرابعة يقول اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده قال الشافعى رحمه الله: حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهرى أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنازة وفى التكبيرات لايقرأ فى شىء منها ثم يسلم سرا فى نفسه . ورواه النسائى عن أبى أمامة نفسه أنه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحابى فى حكم المرفوع على الصحيح . ورواه إسماعيل القاضى عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل عن سعيد بن المسيب أنه قال: السنة فى الصلاة على الجنازة فذكره . وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى ومن ذلك فى صلاة العيد قال إسماعيل القاضى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوما قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى على النبى ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلى على النبى صلى عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن إسناد صحيح ، ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم قال الترمذى حدثنا أبوداود حدثنا النضر بن شميل عن أبى قرة الأسدى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبى قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعا ، وكذا رواه رزين ابن معاويه فى كتابه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى على فلا تجعلونى كقعر الراكب صلوا على أول الدعاء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر ابن عبدالله فى مسند الإمام عبد بن حميد الكشى حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لاتجعلونى كقدح الراكب إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء فان كان له حاجة فى الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة فى الشرب شرب وإلا هراق ماقيه اجعلونى فى أول الدعاء وفى وسط الدعاء وفى آخر الدعاء » وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث ، ومن آكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر اللهم اهدنى فيمن هديت . وعافنى فيمن عافيت . وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت . وقنى شر ماقضيت . فإنك تقضى ولا يقضى عليك . إنه لا يذل من واليت . ولا يعز من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائى فى سننه بعد هذا وصلى الله على محمد . ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن على الجعفى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ؛ وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على » قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ يعنى وقد بليت ، قال « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ورواه أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث حسين بن على الجعفى وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والنووى فى الأذكار ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصرى حدثنا عبدالله بن وهب عن عمرو ابن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصلى على فيه إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال قلت وبعد الموت ؟ « قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسى وأبى الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم

وقد روى البيهقى من حديث أبى أمامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الأمر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن فى إسنادهما ضعف والله أعلم . وروى مرسلا عن الحسن البصرى فقال إسماعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصرى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتأكل الأرض جسد من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووى فى الأذكار[1] وقال القاضى وقال الشافعى أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة على » هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلى على النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر فى الخطبتين ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة . وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعى وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى عليه وسلم قال أبوداود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا المقرى حدثنا حيوة عن أبى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبدالله ابن قسيط عن أبى هريرة أن رسول لله ﷺ قال « مامنكم من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » تفرد به أبو داود وصححه النووى فى الأذكار . ثم قال أبوداود حدثنا أحمد بن صالح قال : قرأت

(١) كذا فى الأصل .

على عبد الله بن نافع أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » تفرد به أبو داود أيضا ، وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووى أيضا وقد روى من وجه آخر متصلا قال القاضى إسماعيل بن إسحق فى كتابه فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا إسماعيل بن أبى أويس حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عمن أخبره من أهل بيته عن على بن الحسين بن على أن رجلا كان يأتى كل غداة فيزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه على بن الحسين فقال له على بن الحسين ما يحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبى ﷺ فقال له على بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبى ؟ قال نعم فقال له على بن الحسين أخبرنى أبى عن جدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حيثما كنتم فتبلغنى صلاتكم وسلامكم » فى إسناده رجل مبهم لم يسم ، وقد روى من وجه آخر مرسلا قال عبد الرزاق فى مصنفه عن الثورى عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن على قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبرى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى » فلعله رآهم يسيئون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم . وقد روى أنه رأى رجلا يقتاب القبر فقال : يا هذا ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء . أى الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؛ وقال الطبرانى فى معجمه الكبير حدثنا أحمد بن رشدين المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى حميد بن أبى زينب عن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى » ثم قال الطبرانى حدثنا العباس بن حمدان الأصبهانى حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبى شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن على عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ « أرأيت قول الله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبى) — فقال — « إن هذا من المكتوم ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم ، إن الله عز وجل وكل بى ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ، ولا يصلى على أحد إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين » غريب جدا وإسناده به ضعف شديد . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام » وهكذا رواه النسائى من حديث سفيان الثورى وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به . فأما الحديث الآخر « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على من بعيد بلغته » ففى إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدى الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا . قال أصحابنا ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلى على النبى ﷺ لما رواه الشافعى والدار قطنى من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم على كل حال ، وقال إسماعيل القاضى حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبى عن وهب بن الأجدع قال : سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول : إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك ، وعلى المروة مثل ذلك إسناد جيد حسن قوى ، قالوا ويستحب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال بعض المفسرين : يقول الله تعالى لا أذكر إلا ذكرت معى وخالفهم فى ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الأكل والدخول

والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني » في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارون وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ، ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » إسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم .

﴿ مسئلة ﴾ وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا ، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا أحسبه موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه [الجامع الآداب الراوي والسامع] قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا . ﴿ فصل ﴾ وأما الصلاة على غير الأنبياء فان كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وبقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وبقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) الآية وبحديث عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجاه في الصحيحين ، وبحديث جابر أن امرأته قالت يارسول الله صل علي وعلى زوجي فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعار للانبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال علي صلى الله عليه ، وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن . وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ؛ ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود . قال أصحابنا والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه ؛ هذا لفظ بحروفه ؛ قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى ما ذكره (قلت) وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ؛ وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان

هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال إسماعيل القاضى حدثنا عبد الله بن عبدالواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنى عثمان بن حكيم بن عبادة بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لاتصح الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة ، وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا حسين بن على عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فان ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخره ، وإن ناسا من القصاص قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك كتابى هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك . أثر حسن ؛ قال إسماعيل القاضى حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن نبيه ابن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب : مامن فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يزفونه . ﴿ فرع ﴾ قال النووى إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط ، وهذا الذى قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهى قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فالأولى أن يقال ﷺ تسليما

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص ـ عياذا بالله من ذلك ـ قال عكرمة فى قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت فى المصورين . وفى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون ياخيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهى عن ذلك . هكذا قرره الشافعى وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت فى الذين طعنوا على النبي ﷺ فى تزويجه صفية بنت حيى بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة فى كل من آذاه بشىء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبى رائطة الحذاء المجاشعى عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن المغفل المزنى قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » وقد ورواه الترمذى من حديث عبيدة بن أبى رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل به ، ثم قال وهذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أى ينسبون اليهم ماهم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبيناً) وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات مالم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل فى هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم فان الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضى

عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم مالم يكن ولافعلوه أبداً فهم فى الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين ، وقال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبدالعزيز يعنى ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أنه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بمايكره » قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » وهكذا رواه الترمذى عن قتيبة عن الدراوردى به ثم قال حسن صحيح ، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن عمار بن أنس عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أى الربا أربى عند الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم » ثم قرأ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبيناً) ،

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ تسليما أن يأمر النساء المؤمنات ـ خاصة أزواجه وبناته لشرفهن ـ بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الاماء ، والجلباب هو الرداء فوق الخمار . قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى وعطاء الخراسانى وغير واحد وهو بمنزلة الازار اليوم . قال الجوهرى : الجلباب الملحفة ، قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلالها

تمشى النسور إليه وهى لاهية ... مشى العذارى عليهن الجلابيب

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن قول الله عزوجل (يدنين عليهن من جلابيبهن) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطى ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى فيما كتب إلى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنى الليث حدثنا يونس ابن يزيد قال وسألناه يعنى الزهرى هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة ! قال عليها الخمار إن كانت متزوجة وتنهى عن الجلباب لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) ، وروى عن سفيان الثورى أنه قال : لابأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وإنما نهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى (ونساء المؤمنين) وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر ، لسن بإماء ولاعواهر . قال السدى فى قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقه فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن ، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأو المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ،

وقال مجاهد يتجلبين فيعلم أنهم حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة ، وقوله تعالى (وكان الله غفوراً رحيما) أى لما سلف فى أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعداً للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر (والذين فى قلوبهم مرض) قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا (والمرجفون فى المدينة) يعنى الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق (لنغرينك بهم) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لنسلطنك عليهم . وقال قتادة لنحرشنك بهم ، وقال السدى لنعلمنك بهم (ثم لا يجاورونك فيها) أى فى المدينة (إلا قليلا * ملعونين) حال منهم فى مدة إقامتهم فى المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين (أينما ثقفوا) أى وجدوا (أخذوا) لذلتهم وقلتهم (وقتلوا تقتيلا) ثم قال تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى هذه سنته فى المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى وسنة الله فى ذلك لا تبدل ولا تغير

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك ، وأرشده أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى فى سورة الأعراف وهى مكية وهذه مدنية فاستمر الحال فى رد علمها إلى الذى يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) كما قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) وقال (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) ثم قال (إن الله لعن الكافرين) أى أبعدهم من رحمته (وأعد لهم سعيرا) أى فى الدار الآخرة (خالدين فيها أبدا) أى ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها (لا يجدون وليا ولا نصيرا) أى وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه ثم قال (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أى يسحبون فى النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا فى الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم فى حال العرصات بقوله (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) وقال تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا أخبر عنهم فى حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول فى الدنيا (وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وقال طاوس : سادتنا يعنى الأشراف وكبراءنا يعنى العلماء رواه ابن أبى حاتم أى اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شىء فإذا هم ليسوا على شىء (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أى بكفرهم وإغوائهم إيانا (والعنهم لعنا كبيرا) قرأ بعض القراء بالباء الموحدة ، وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا المعنى كما فى حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال « قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم » أخرجاه فى الصحيحين ، يروى كثيرا وكبيرا وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعى بين اللفظين فى دعائه وفى ذلك نظر ، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القارىء مخير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما

والله أعلم وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا ضرار بن صرد حدثنا على بن هاشم عن عبيدالله ابن أبى رافع عن أبيه فى تسمية من شهد مع على رضى الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزية وهو الذى كان يقول عند اللقاء يا معشر الأنصار أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) ؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾

قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ إن موسى كان رجلا حَيِيا وذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه فى أحاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شىء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب فى جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ماخلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا — قال — فذلك قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) » وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخارى دون مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم . وخلاس ومحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شىء استحياء منه . » ثم ساق الحديث كما رواه البخارى مطولا ورواه عنه فى تفسيره عن روح عن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثورى عن جابر الجعفى عن عامر الشعبى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس فى قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال : قال قومه له إنك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت به مجالس بنى إسرائيل قال فرأوه ليس بآدر فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا) وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما سواء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الأدمى قالا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال « كان موسى عليه السلام رجلا حيياً وإنه أتى — أحسبه قال الماء — ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدو عورته فقال بنو إسرائيل إن موسى آدر أو به آفة — يعنون أنه لا يضع ثيابه — فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بنى إسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال — أو كما قال — فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى قوله (فبرأه الله مما قالوا) قال صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بنى إسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن على بن موسى الطوسى عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن

يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل [قلت] يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم : رسول الله ﷺ ذات يوم قسما فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال : فقلت ياعدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » أخرجاه فى الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد ابن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » فأتى رسول الله ﷺ مال فقسمه قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالا ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إنك قلت لنا « لا يبلغنى أحد عن أصحابى شيئا » وإنى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا ؛ فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال « دعنا منك لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر » وقد رواه أبو داود فى الأدب عن محمد بن يحيى الذهلى عن محمد بن يوسف الفريابى عن إسرائيل عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا « لا يبلغنى أحد عن أحد شيئاً إنى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » وكذا رواه الترمذى فى المناقب عن الذهلى سواء إلا أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضا عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل عن السدى عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً أيضا فزاد فى إسناده السدى ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) أى له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل . قال الحسن البصرى كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء عز وجل . وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع فى أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا (قولا سديدا) أى مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم فى المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) وذلك أنه يجار من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو ابن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعرى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا فقال « إن الله تعالى أمرنى أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا » ثم أتى النساء فقال « إن الله أمرنى أن آمركن أن تتقين الله وتقلن قولا سديدا » وقال ابن أبي الدنيا فى كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهرى حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ما قام رسول الله ﷺ على المنبر إلا سمعته يقول (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) الآية غريب جدا ، وروى عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا : من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، قال عكرمة القول السديد لا إله إلا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

قال العوفى عن ابن عباس يعنى بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم : إنى قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الأمانة الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لايقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) يعنى غرا بأمر الله ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلت فما كان إلا مقدار مابين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة ، وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصرى وغير واحد: إن الأمانة هى الفرائض،وقال آخرون هى الطاعة وقال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال : قال أبى بن كعب من الأمانة أن المرأة أؤتمنت على فرجها . وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود ؛ وقال بعضهم الغسل من الجنابة ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم قال الأمانة ثلاثة، الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة وكل هذه الأقوال لاتنافى بينها بل هى متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله المستعان ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصرى حدثنا حماد بن واقد يعنى أباعمر الصفار سمعت أبا معمر يعنى عون بن معمر يحدث عن الحسن يعنى البصرى أنه تلا هذه الآية (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التى زينت بالنجوم ، وحملة العرش العظيم ، فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد ، التى شدت بالأوتاد ، وذللت بالمهاد ، قال فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، قالت لا ، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا . وقال مقاتل بن حيان إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الأمانة وهى الطاعة فقال لهن أتحملن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب فى الجنه ؟ فقلن يارب إنا لانستطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعين ، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لهن : أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها منى وأعطيكن الفضل والكرامة فى الدنيا ؟ فقلن : لاصبر لنا على هذا يارب ولا نطيق ولكنا لك سامعين مطيعين لانعصيك فى شىء أمرتنابه . ثم قرب آدم فقال له أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم مالى عندك ؟ قال يا آدم إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب فى الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإنى معذبك ومعاقبك وأنزلك النار ، قال : رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك

قد حملتكها فذلك قوله تعالى (وحملها الإنسان) رواه ابن أبي حاتم وعن مجاهد أنه قال : عرضها على السموات فقالت يارب حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة . قال وعرضها على الأرض فقالت يارب غرست فيّ الأشجار وأجريت فيّ الأنهار وسكان الأرض وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة ، وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) في عاقبة أمره وهكذا قال ابن جريج وعن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الأمانة ضججن إلى الله ثلاثة أيام وليالهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في هذه الآية (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض) الآية قال الإنسان بين أذني وعاتقي فقال الله عز وجل : إني معينك عليها، إني معينك على عينيك بطبقتين فإذا نازعاك إلى ما أكره فأطبق ، ومعينك على لسانك بطبقتين فإذا نازعك إلى ما أكره فأطبق ومعينك على فرجك بلباس فلا تكشفه إلى ما أكره . ثم روى عن أبي حازم نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قول الله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الآية قال إن الله تعالى عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال وعرض الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له : أما إذا تحملت هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك بابا وغلقا فإذا خشيت فأغلق ، واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك ، وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء فأرسلوا به . فمنهم رسول الله ومنهم نبي ومنهم نبي ومنهم نبي رسول ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجمية والعربية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله تعالى شيئا من أمره مما يأتون ومايجتنبون وهي الحجج عليهم إلا بينه لهم ، فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبيح ، ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل إلى وإلى أمتي ولا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك . فالحذر أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس فانما يبلوكم أيكم أحسن عملا » هذا حديث غريب جداوله شواهد من وجوه أخرى ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خمس من جاء بهن يوم القيامه مع إيمان دخل الجنة . من حافظ على الصلوات الخمس[1] على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها ـ وكان يقول ـ وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وأدى الأمانة » قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة ؟ قال رضي الله عنه: الغسل من الجنابه فان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي العوام عمران بن داود القطان به وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحاق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ـ أو قال ـ يكفر كل شيء إلا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له أد أمانتك . فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقول اذهبوا به إلى أمه الهاوية فيذهب به إلى الهاوية فيهوى فيها حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين » قال : والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الوضوء والأمانة في الحديث وأشد ذلك

(١) قوله خمس الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ولم يذكر الخمس كلها هنا فلعله اختصر الحديث اهـ .

الودائع . فلقيت البراء فقلت ألا تسمع مايقول أخوك عبد الله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامرى عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة فى الصلاة وفى كل شيء اسناده جيد ولم يخرجوه . ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء — قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال — فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما فى قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت إن كان مسلماً ليردنه علىّ دينه ، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علىّ ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى عليه وسلم قال « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ، وقد قال الطبرانى فى مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد فى الاسناد ابن حجيرة وجعله فى مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبى إسحاق الشيبانى عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت فى كلامى لا و الأمانة فجعل زياد يبكى ويبكى فظننت أنى أوتيت أمراً عظيما فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله (والمشركين والمشركات) وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى وليرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الله غفوراً رحيما) آخر تفسير سورة الأحزاب ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سبأ وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير * يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق فى الدنيا والآخرة لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ،